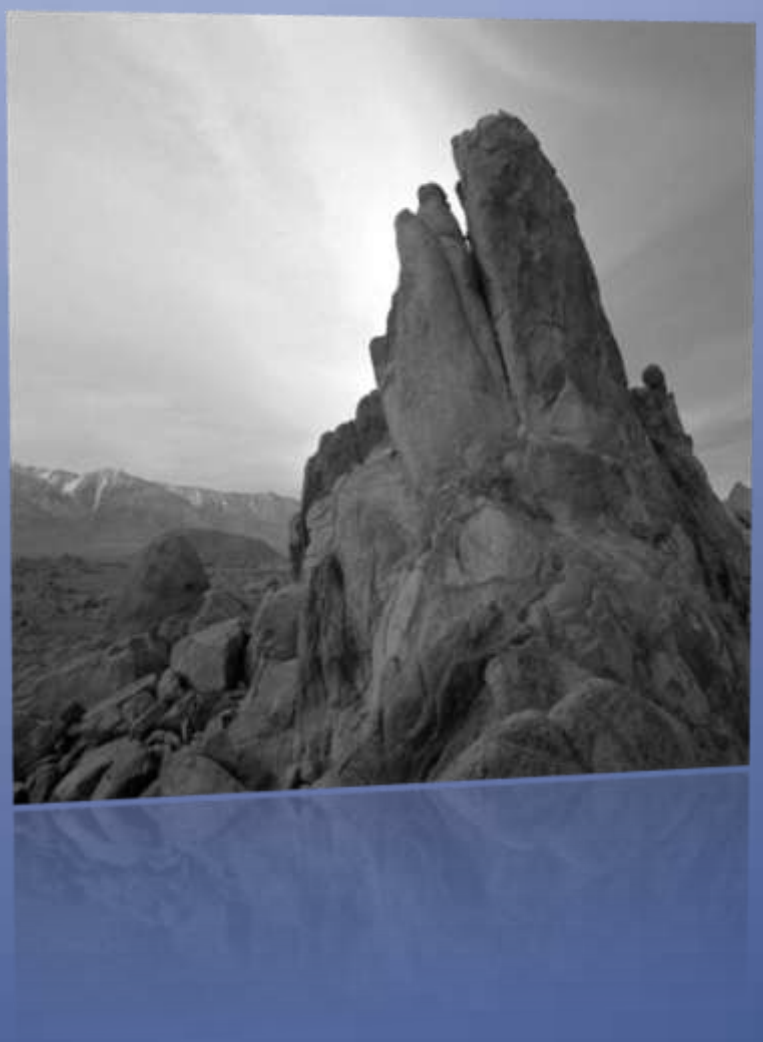

شذرات الفوائد من صحيح البخاري

الدكتور ابراهيم شذر الصجري

العدد الأول – نيسان/ ٢٠٢٥م

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ آل عمران: ١٠٢.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ النساء: ١ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ الأحزاب: ٧٠ - ٧١

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

شذرات الفوائد من صحيح البخاري

- روى البخاري في صحيحه، قال حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنْ اللَّيْلَةِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ»

المطلب الأول: العلاقة بين نزول المطر والنوء.

- موطن الشاهد من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ قوله ﷺ: « فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ...».

اقتضت حكمته تعالى أن يعلق وقوع الاشياء بتحصيل أسبابها، وهذا أمر مقرر شرعاً ومشاهد حساً، غير أن مما ينبغي الانتباه له والتنبيه عليه في هذا الباب، أن الانقطاع إلى الأسباب باعتبارها مؤثرة في المسببات، شرك في التوحيد، كما أن إلغاء الأسباب وتعطيلها أن تكون أسباباً، نقص في العقل، والإعراض عن الأسباب المأمور بها، قدح في الشرع[1]، بقي السؤال الذي ينبغي أن يطرح الآن: ما علاقة النوء بالمطر؟

([1]) ينظر: مجموع الفتاوى: تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني(المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن قاسم، ط، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٩٩٥م، ١٣١/١.

أما نزول المطر وعلاقته بالنوء ففيه تفصيل: فأما نسبته الى النوء على أنه هو الفاعل، فهذا شرك بالله عز وجل، وأما جعل النوء سبباً لنزول المطر فهذا كسابقه لا يجوز؛ لأن جعل الشيء سبباً وهو في الحقيقة لا علاقة له بالأسباب فهذا من الشرك الاصغر؛ لأن كل من جعل سبباً فيما لم يجعله الله سبباً لا بوحيه ولا بقدره، فهو من قبيل الشرك الأصغر، وأما جعل النوء وقتاً يعرف به وقوع الشيء وحصوله كحصول البرد في الشتاء، والحر في الصيف، فهذا جائز ولا شيء فيه.

قال ابن عثيمين: (الاستسقاء بالأنواء ينقسم إلى قسمين: القسم الأول: شرك أكبر وله صورتان، الصورة الأولى: أن يدعو الأنواء بالسقيا، كأن يقول: يا نوء كذا أسقنا أو أغثنا وما أشبه ذلك، فهذا شرك أكبر قال الله تعالى:﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ المؤمنون: ١١٧ ، وقال الله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ الجن: ١٨ ، وقال عز وجل: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ يونس: ١٠٦ ، وهذا شرك في العبادة والربوبية.

الصورة الثانية: أن ينسب حصول الأمطار إلى هذا النوء ولو لم يدعها على أنها هي الفاعلة لنفسها دون الله، بأن يعتقد أنها هي التي تنزل المطر دون الله فهذا شرك أكبر في الربوبية.

القسم الثاني: شرك أصغر وهو أن يجعل هذه الأنواء سببا، والله هو الخالق الفاعل، وإنما كان شركا أصغر؛ لأن كل من جعل سببا لم يجعله الله سببا لا بوحيه ولا بقدره، فهو مشرك شركا أصغر.

وسئل رحمه الله عن حكم ربط المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي؟ فأجاب قائلا: تعليق المطر بالضغط الجوي، والمنخفض الجوي –وهو وإن كان قد يكون سببا حقيقياً– ولكن لا ينبغي فتح هذا الباب للناس، بل يقال: هذا من رحمة الله، هذا من فضله ونعمته، قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ النور: ٤٣ ، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ الروم: ٤٨، فتعليق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه، وليعلم أن النسبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: نسبة إيجاد وهذه شرك أكبر، القسم الثاني: نسبة سبب وهذه شرك أصغر، القسم الثالث: نسبة وقت وهذه جائزة. والله أعلم)[1].

وحديث زيد بن خالد الجهني المتقدم يظهر أن نزول المطر نعمة من نعم الله على عباده، وأن الواجب على العباد أن يشكروا المنعم على فضله وآلائه، لا أن ينسبوا أفعاله إلى غيره، أو أن يجعلوا وقوع الشيء بمحض السبب، أو نسبتها لأشياء ما أقامها الله أسباباً لها؛ ولهذا جاء الخطاب « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»، ثم قال: « فمن قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب».

قال الخطابي: (والنوء واحد الأنواء، وهي الكواكب الثمانية والعشرين التي هي منازل القمر، كانوا يزعمون أن القمر إذا نزل ببعض تلك الكواكب مطروا، فابطل

(1) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى:١٤٢١هـ)، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، ط، دار الوطن – دار الثريا، الرياض، ١٩٩٣م، ١٩٢/٢.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قولهم، وجعل سقوط المطر من فعل الله سبحانه دون فعل غيره)[1].

قال ابن بطال: (كانوا ينسبون الأفعال إلى غير الله، فيظنون أن النجوم تمطرهم وترزقهم، فهذا تكذيبهم، فنهاهم الله عن نسبة الغيوث التي جعلها الله حياةً لعباده وبلاده إلى الأنواء، وأمرهم أن ينسبوا ذلك إليه؛ لأنها من نعمته وتفضله عليهم، وأن يفردوه بالشكر على ذلك والحمد على تفضله)[2].

وأما من اعتقد أن الانواء أوقات لا تأثير لها بذاتها، وانما الفاعل هو الله، فهذا معنى لا بأس به، وعلى هذا يحمل قول عمر رضي الله عنه حين استسقى بالناس فقال: (يا عباس: يا عم رسول الله كم بقي من نوء الثريا ـ قال العلماء: بها يزعمون أنها تعترض بعد سقوطها في الافق سبعاً ـ قال: فما مضت سابعة حتى مطرنا)[3].

قال الشافعي: (إنما أراد كم بقي من وقت الثريا، لمعرفتهم بان الله تعالى قدر الأمطار في أوقات فيما جربوا كما علموا أنه قدر الحر والبرد فيما جربوا في أوقات)[4].

قال ابن الملقن:(وإن ذلك من عمر لم يكن على المعنى المنهي عنه، وذلك أن المعنى المنهي عنه إضافة ذلك إلى أنه من فعل النوء وحده، فكان كفرًا، وأما ما كان

---

[1] معالم السنن: الخطابي، ١٥٢/٤.

[2] شرح صحيح البخاري: ابن بطال، ٢٨/٣.

[3] مسند الحميدي، مسند أبي هريرة، رقم الحديث: ١٠٠٩.

[4] كتاب الام: محمد بن ادريس الشافعي(ت٢٠٤هـ)،تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، ط١، دار الوفاء،(المنصورة: ٢٠٠١م)، ٥٥٢/٢ ؛ والجوهر النقي في ذيل السنن الكبرى للبيهقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني، الشهير بابن التركماني (ت٧٥٠ هـ)، ط١، دائرة المعارف النظامية، (حيدر اباد الهند:١٩٤٤م)، ٣٥٨/٣.

من عمر، فإنه كان منه أنه من قبل الله تعالى عند نوء النجم، كما يقول القائل: إذا كان الصيف كان الحر، وإذا كان الشتاء كان البرد، لا على أن الشتاء والصيف يفعلان شيئًا من ذلك؛ بل الذى يأتي بها والحر والبرد، الرب تعالى خالق كل ذلك، ولكن ذلك من الناس على ما جرت عادتهم فيه، وتعارفوا معاني ذلك في خطابهم ومرادهم، لا على أن النجوم تُحدث شيئاً من نفع أو ضر بغير إذن خالقها لها)[1].

وعلى هذا فإنه من اعتقد أن الأسباب تفعل بذاتها وحدها، فهذا كفر بالله عز وجل كما تقدم، ومن من ادعى أشياء بأنها مسببات والله ما أقامها أسباباً فهذا شرك أصغر، ومن اعتقد أنه يسعه ترك الأسباب التي نصبها الله عز وجل مقتضيات لمسبباتها فهذا عجز وقدح في التوكل وحقيقة التوحيد.

قال ابن القيم: (لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدراً وشرعاً، وإن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الامر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها إن تركها أقوى في التوكل، فان تركها عجزاً ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً)[2].

وفي هذا فائدة ينبغي للداعية أن يوظفها بالشكل الصحيح؛ ليعالج الكثير من المفاهيم الخاطئة عند البعض، فالناس في ذلك بين إفراط وتفريط، فمنهم يعتمد على

---

[1] التوضيح لشرح الجامع الصحيح: ابن الملقن، ٨/ ٢٩٣.

[2] زاد المعاد في هدى خير العباد: محمد بن ابي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ)، ط، مؤسسة الرسالة، (بيروت:١٩٩٤م)، ١٤/٤.

الأسباب ويتكل عليها! فيقدح في توحيده، ومنهم من يلغي الأسباب ويعطلها! فيقدح في توكله، وواجب الداعية توجيه المخطئ وتفهيمه، وإرشاد الجاهل وتعليمه.

ومن الفوائد أيضاً، أن الداعية ينبغي له أن يباشر أسباب النجاح في دعوته كاختيار الوقت المناسب، واستخدام الأسلوب الأنسب في الدعوة، ومراعاة حال المدعو والواقع الذي يعيش فيه، وغيرها من الأسباب التي تعين على نجاح الداعية في دعوته.

المطلب الثاني: تحقيق القول في معنى الكفر الوارد في ألفاظ الشرع.

- موطن الشاهد من حديث زيد بن خالد الجهنيﷺ قولهﷺ : « وَأَمَّا مَنْ قَالَ: بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي وَمُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ ».

جاء في حديث الانواء المتقدم ذكر الكفر في قولهﷺ : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر...»، ولأجل خطورة التكفير وما يقع بسببه من ويلات، صار لزاماً تحقيق القول في معنى الكفر هنا، وذلك من خلال عرض شيء من أقوال أهل العلم في بيان معناه على التفصيل:

بداية لابد من معرفة أن لفظ الكفر يطلق في لسان الشرع ويراد به معنيان:

المعنى الأول: الكفر بالله عز وجل، وهذا النوع من الكفر يخرج العبد من الاسلام ويسمى الكفر الاعتقادي أو الأكبر.

المعنى الثاني: كفر النعمة، وهذا النوع من الكفر لا يخرج من الملة ويسمى بالكفر العملي أو الأصغر.

قال ابن تيمية: (التكفير نوعان: أحدهما كفر النعمة. والثاني: الكفر بالله، والكفر الذي هو ضد الشكر، انما هو كفر النعمة لا الكفر بالله، فاذا زال الشكر خلفه كفر النعمة، لا الكفر بالله)[1].

وقد وردت النصوص بذلك على المعنيين: فمن المعنى الأول قوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾[2]. وقوله تعالى:﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾المائدة: الاية ٧٣.

ومن المعنى الثاني: قولهﷺ: « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[3]، وقولهﷺ:« اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت»[4]، وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنهما في توجيه معنى الكفر هنا قائلاً: (ليس بالكفر الذي يذهبون اليه)[5]، وقال أيضاً: (وليس كمن كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله)[6]

---

[1] مجموع الفتاوى: ابن تيمية ،١١/ ١٣٧.

[2] سورة المائدة: من الآية: ١٧.

[3] صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب: خوف المؤمن، من حديث عبد الله بن مسعود، رقم الحديث: ٤٨، ١٩/١.

[4] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: الطعن في النسب والنياحة على الميت، من حديث ابي هريرة، رقم الحديث: ٦٧، ٥٨/١.

[5] مستدرك الحاكم، باب تفسير سورة المائدة من حديث ابن عباس برقم: ٣٢١٩، وصححه الالباني.

[6] الابانة الكبرى: عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري،(ت٣٨٧هـ)، تحقيق: رضا معطي وآخرون، ط، دار الراية،(الرياض: د.ت)، باب: ذكر الذنوب التي تصير بصاحبها إلى الكفر، بسنده إلى ابن عباس، رقم الحديث: ١٠٠٩، ٧٣٤/٢.

وقال: (كفر لا ينقل عن الملة)[1]، وقال الترمذي: (وقد روي عن ابن عباس وطاووس وعطاء وغير واحد من أهل العلم قالوا: كفر دون كفر)[2].

ومن خلال ما تقدم يظهر لنا ان للكفر معنيان: كفر اكبر، وكفر اصغر أو قل: كفر بالله عز وجل، وكفر بالنعمة، فأما الأول: فينقل عن الملة، وأما الثاني: فلا ينقل عن الملة.

فالسؤال الذي يطرح الان عن معنى الكفر الوارد في حديث زيد بن خالد الجهني المتقدم من قولهﷺ: « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر».

قال الإمام الشافعي: (وأرى معنى قوله والله اعلم: ان من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك إيمان بالله، لأنه يعلم أنه لا يمطر ولا يعطي إلا الله عز وجل، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا. على ما كان بعض أهل الشرك يعنون من إضافة المطر إلى أنه أمطره نوء كذا، فذلك كفر كما قال رسول اللهﷺ؛ لأن النوء وقت، والوقت مخلوق لا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً، ولا يمطر، ولا يصنع شيئاً.

فأما من قال: مطرنا بنوء كذا على معنى مطرنا بوقت كذا، فإنما ذلك كقوله: مطرنا في شهر كذا، ولا يكون هذا كفراً، وغيره من الكلام أحب إلي منه...ثم قال: احب ان يقول: مطرنا في وقت كذا)[3].

---

[1] تعظيم قدر الصلاة: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (ت٢٩٤هـ)، عبدالرحمن عبد الجبار، ط١،مكتبة الدار، (المدينة المنورة:١٩٨٦م)، ٥٢٢/٢.

[2] سنن الترمذي، باب: ما جاء في سباب المسلم فسوق، من حديث ابن عباس وعطاء، رقم الحديث: ٢٦٣٥، ٣٧٦/٤، قال الترمذي: حديث صحيح.

[3] كتاب الام: الإمام الشافعي، ٥٥١/٢.

ثم أوضح النووي ذلك قائلا: (فان قال: مطرنا بنوء كذا، واراد ان النوء هو الفاعل حقيقة وليس لله فيه صنع ،فهو كافر مرتد خارج من الملة ،وان أراد أن النوء وقت يوقع الله المطر فيه من غير أثر للنوء وانما الفعل لله تعالى، فليس بكفر كفر جحود، بل هو لفظ مكروه وليس بحرام، ويصح أن يطلق عليه كفر النعمة والله أعلم)[1].

قال الحافظ ابن حجر: (فإن اعتقد قائل أن للنوء صنعاً في ذلك، فكفره كفر تشريك، وإن اعتقد أن ذلك من قبيل التجربة فليس بشرك، لكن يجوز اطلاق الكفر عليه، وارادة كفر النعمة)[2].

وحاصل ما تقدم أن في المسألة ثلاثة صور:

١. من اضاف المطر إلى النوء باعتباره الفاعل له والصانع، فهذا كفر أكبر ينقل عن الملة.

٢. من اضاف المطر إلى النوء باعتباره المتسبب له والله هو الفاعل، فهذا كفر للنعمة، وهو كفر أصغر دون الكفر الاكبر.

٣. من اضاف المطر إلى النوء كوقت من الاوقات ولا تأثير له فيه، كقول البعض مطرنا في الشتاء فهذا لا بأس به وهو جائز.

قال ابن عثيمين: (ان كان يعتقد ان النوء هو الذي خلق هذا المطر، فهو كافر كفرا مخرجا عن الملة، لأنه ادعى ان مع الله خالقاً، وان كان يعتقد ان النوء سبب، فانه كافر كفرا دون كفر، وانما كان كافرا فيما إذا اعتقد انه سبب، لأنه اثبت سببا لم

---

[1] المجموع شرح المهذب: ابو زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ) ط١، دار الفكر، (بيروت: د.ت)، ٩٦/٥.

[2] فتح الباري: ابن حجر ، ٥٢٤/٢.

يثبته الله عز وجل، فان النجوم ليس لها اثر، وانما هي اوقات فقط. واما لو قال: مطرنا في نوء كذا، فهذا جائز: لان في للظرفية، ومن ذلك استعمال العامة عندنا يقولون مثلا: مطرنا في المربعانية)[1].

والفائدة الدعوية المستفادة من ذلك، الحذر من استخدام الالفاظ المشتركة في غير ما وضعت له، والخلط بين المعاني بما يسبب الإرباك والانحراف في الفهم، وعليه فينبغي على الداعية إذا استخدم مثل هذه الألفاظ أن يبيّن المراد منها، حتى لا يقع اللبس في الفهم فيؤدي إلى التطرف أو الانحراف.

المطلب الثالث: تعلم العقيدة على رأس أولويات الدين.

- موطن الشاهد من حديث زيد بن خالد الجهنيﷺ قولهﷺ: « هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِالكَوْكَبِ».

العقيدة هي اساس الدين وأصله، وصحة العقيدة هي عنوان سعادة المرء وخلاصه عند الله عز وجل يوم القيامة، ولو تأملت القران الكريم من أوله إلى آخره لوجدت أن مواضع تصحيح العقيدة أخذت منه حيّزاً كبيراً، فلا تكاد تخلو صفحة من صفحاته إلّا وهي تتكلم عن العقيدة والتوحيد إجمالاً أو تفصيلاً.

وقد اهتم الأنبياء جميعاً بالعقيدة اهتماماً كبيراً، وأولوها عنايةً فائقةً، وبدأوا بها وجعلوها من أولويات دعوتهم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ الانبياء: الآية: ٢٥.

---

[1] الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح بن عثيمين،(ت١٤٢١هـ)، ط١، دار ابن الجوزي، (القاهرة:١٩٩٨م)، ٢٢٨/٥. بتصرف يسير.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم بيّن القرآن دعوة كل رسول، وما دعا اليه قومه تفصيلا فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[1]، وقال عز من قائل: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾[4]، فما من نبي أرسل إلّا وبدأ دعوته مع قومه بتصحيح العقيدة، فالعقيدة الاسلامية الصحيحة عنوان الفلاح، ومفتاح السعادة في الدارين، فالعقيدة دين المرء، وإنما سميت عقيدة؛ لأن القلب ينعقد عليها، ويشتد تمسكه بها، فتتغلغل في أعماق النفس ولا تتزعزع ولا يداخلها شك، فهي ثابتة في القلب وراسخة رسوخ الجبال الرواسي[5]، فلا يمكن أن نتعامل معها على أنها ترفاً فكرياً، ولا نافلةً من القول، ولا حاشيةً على هامش الحياة، أو مظهراً من مظاهر الضعف أو الخوف، وإنما هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، فهي حاجة ملحة في النفس والروح، إذا فقدت تركت فراغاً في النفس لا يملأ، وجوعاً في الروح لا يسد، وخراباً في الضمير لا يعمر[6].

ومن أجل هذا كله، كان على العبد أن يهتم بتصحيح عقيدته، وأن يبادر إلى سؤال أهل العلم من الدعاة والعلماء عما تصح به عقيدته، ولو كان على سبيل

---

[1] سورة الاعراف: من الآية: ٥٩.

[2] سورة الاعراف: من الآية: ٦٥.

[3] سورة الاعراف: من الآية: ٧٣.

[4] سورة الاعراف: من الآية: ٨٥.

[5] ينظر: المدخل لدراسة العقيدة الاسلامية عند أهل السنة والجماعة: ابراهيم بن محمد البريكان، ط١، دار ابن القيم، (الرياض: ٢٠٠٣م)، ص ١٧.

[6] العقيدة أولا لو كانوا يعلمون: صالح طه عبد الواحد، ط٤، مكتبة الغرباء، (عمان: ٢٠٠٩م)، ٣٠/١.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإجمال لا التفصيل؛ لأن صحة العبادة تعتمد على صحة المعتقد، ولك أن تتأمل حال أقوام ذكرهم النبيﷺ وبيَّن أنهم أصحاب عبادة ونسك واجتهاد، وممن يحفظ القرآن ويقوم الليل ويصوم النهار، ومع هذا فلا يقبل الله منهم صرفاً ولا عدلاً، فمما رواه البخاري في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « يخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَأَعْمَالَكُمْ مَعَ أَعْمَالِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ وَلاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[1]، فهؤلاء أُناس فينا وهم من أهل الصلاة والصيام وقراءة القرآن، «يمرقون من الدين»، كناية عن انحرافهم في الفكر والمعتقد، فماذا كانت النتيجة: عمدوا إلى آياتٍ في القرآن نزلت في الكفار فجعلوها في المسلمين، ثم كفروهم وسفكوا دماءهم، واستباحوا أموالهم وأعراضهم، وخرجوا على أئمة الهدى وأمراء المسلمين، فما أعظم بغيهم وأشد فتنتهم! قال شيخ الإسلام عنهم: (فَإِنَّ الْأُمَّةَ مُتَّفِقُونَ عَلَى ذَمِّ الْخَوَارِجِ وَتَضْلِيلِهِمْ)[2].

وكان ابن عمر رضي الله عنهما: يرى أنهم شرار خلق الله وقال:(إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين)[3].

فإن تعجب!! فهذا شأن العقيدة، وهذا حال من انحرف في فكره وعقيدته، وقد وصفهم النبيﷺ بشر الخلق والخليقة فقال ﷺ: « إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي، أَوْ سَيَكُونُ

---

[1] صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب من راءى بقراءة القرآن أو تأكَّل به أو فخر به برقم: ٥٠٥٨، ١٩٧/٦.

[2] مجموع الفتاوى: ٥١٨/٢٨.

[3] صحيح البخاري، كتاب: استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب: قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم، رقم الحديث: ٦٩٢٩، ٩/ ١٥.

بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي ، قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَلَاقِيمَهُمْ، يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فِيهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ »[1] .

فإن حاجتنا إلى العقيدة فوق كل حاجة، وضرورتنا إليها فوق كل ضرورة، لأنه لا سعادة للقلوب، ولا نعيم، ولا سرور إلا بأن تعبد ربها ومعبودها وفاطرها تعالى؛ ولذا كانت العقيدة هي أساس دعوة الرسل والمنطلق الذي ينطلق منه الدعاة والمصلحين، في قضية الإصلاح والدعوة.

[1] صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: الخوارج شر الخلق والخليقة، رقم الحديث : ١٠٦٧، ١١٦/٣.